سورة التغابن

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۖ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٣﴾ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤﴾ ﴾

يُسَبِّحُ لله: ينزهه ويمجده ويدل عليه.

لَهُ الْمُلْكُ: التصرف المطلق في كل شيء.

بِالْحَقِّ: بالحكمة البالغة.

فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ: أتقنها وأحكمها.

قوله : ﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ معناه أن الكون كله آية مصداق للحقيقة، التي كشفها الله - سبحانه وتعالى - عبر القرآن الكريم ، وأنه يؤيدها بلسان حاله تأييداً يبلغ درجة الحمد والثناء ، فالذين لا يؤمنون، رغم هذا الإعلان الثاني، إنما ينبغي لهم أن يرتقبوا الإعلان الثالث الذي سيحضر البشر على إثره بين يدي الله، لكي يستمعوا إلى رب الكون نفسه وهو ينطق بقضائه الأخير في شأن مصيرهم الأبدي !!

﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ فَذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٥﴾

ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا۟ وَتَوَلَّوا۟ وَّٱسْتَغْنَى ٱللَّهُ ۚ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٦﴾

وَبَالَ أَمْرِهِمْ: سوء عاقبة كفرهم في الدنيا.

وَتَوَلَّوْا: أعرضوا عن الإيمان بالرسل.

يتضمن تاريخ الأنبياء والمرسلين الذين جاؤوا برسالة الحق في مختلف العصور الماضية، رصيداً دائماً لا ينفد من العبر والعظات الغالية لبني الإنسان ، فمثلاً : بُعث إلى قوم عاد وثمود وأهل مدين وقوم لوط وغيرهم رسل من الله، ولم يكن يملك هؤلاء للدلالة على صدقهم أي مهارة أو خصوصيةٍ فوق البشرية، سوى الدليل ، وإن إنكار الحق على مستوى الدليل هو ما جعل تلك الشعوب تستحق العذاب الإلهي ، ومن هذا نعلم أن امتحان المرء في هذه الدنيا هو أن يتعرف على الحق على مستوى الدليل، ومن يفشل في معرفة الحق على مستوى الدليل سيظل محروماً من الحق ما دامت السماوات والأرض .

﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٠﴾ ﴾

وَالنُّورِ: القرآن.

لِيَوْمٍ: في يوم القيامة حيث تجتمع الخلائق للحساب والجزاء.

يَوْمُ التَّغَابُنِ: يظهر فيه غبن الكافر بتركه الإيمان وغبن المؤمن بتقصيره في الإحسان.

الناس يحسبون الدنيا موضع الربح والخسارة (التغابن) ، فإذا حصل بعضهم هنا على النجاح طار فرحاً ومرحاً. وأما إذا تعرض شخص ما للفشل تحامته العيون ازدراءً واحتقاراً لشأنه، ولكن الحقيقة هي أن خسارة الدنيا وربحها كلاهما عديم القيمة والجدوى على حدٍ سواءٍ .

إن مكان الربح والخسران الحقيقي هو الآخرة ، فالخاسر هو الذي يخسر في الآخرة، وكذلك الرابح هو من يربح في الآخرة ، ومقياس الربح والخسران هناك يختلف عن مقياسهما في حياتنا الراهنة ، حيث يقاس الربح والخسارة في الدنيا بالأسباب والمظاهر المادية المحسوسة، بينما هما يقاسان في الآخرة بمدى قرب الإنسان أو بعده من مستوى الأخلاق الإلهية ، وسيُصاب الناظرون يومئذٍ بالدهشة ، إذ يرون أن الأمر ها هنا قد تغير تماماً ، فما كان يعده الناس فوزاً كان في الحقيقة خسراناً، وما ظلوا ينظرون إليه على أنه خسران، كان هو الأحْرى والأحق بأن يُسمى بالفوز. والواقع أن ربح يومئذٍ هو الربح وخسارة يومئذٍ هي الخسارة !!

﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٢﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾ ﴾

بِإِذْنِ الله: بإرادته وقضائه وقدره تعالى.

يَهْدِ قَلْبَهُ: يوفقه لليقين والصبر والتسليم.

إن المصيبة - أية مصيبةٍ - لا تجيء تلقائياً، بل تأتي المصائب كلها - صغيرة كانت أوْ

كبيرةً - من عند الله وبإذنه تعالى ، وهي تأتي لكي يُتاح للإنسان عَبْرَها فرصة لتلقي الهداية ، فالمصيبة تُلين قلب الإنسان وتُرقق فؤاده، وتهز نفسيته هزاً عنيفاً ، وعليه فالمصائب تلعب دور الموقظ أوْ المنشِّط للعقل الإنساني ، ولو حفظ المرء نفسه من الانفعالات السلبية، لصارت المصيبة بالنسبة إليه أفضل معلم رباني!! .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾ إِن تُقْرِضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾

فِتْنَةٌ: بلاء ومحنة واختبار.

يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ: يكف بخلها الشديد مع حرصها.

قَرْضاً حَسَناً: احتسابا بطيبة نفس وإخلاص.

إن نفس الإنسان أشد ما تكون تعلقاً بأولاده في هذه الحياة ، حيث تراه يتحدث كثيراً عن المبدأ ويؤكد عليه بشدةٍ ما دام الأمر يتصل بأشياء أخرى غير أولاده، ولكنه سرعان ما ينسلخ من كل المبادئ والالتزامات ويضرب بها عرض الحائط إذا كان في الأمر مساس بمصلحة من مصالح أولاده ، ومن هنا جاء في الحديث : " الولد مجبنة مبخلة ، كما ورد في حديث آخر : " يؤتى برجلٍ يوم القيامة فيقال : أَكَل عيالُه حسناته" . يضن الإنسان بماله فيمسك يده عن البذل والإنفاق في سبيل الله من أجل أولاده ، في حين أنه لو أعطى في سبيل الله عن طيب نفسٍ، لعوّضه الله من ذلك في

صورٍ شتى ما يزيد على عطائه هو في سبيله تعالى أضعافاً كثيرةً ، وفوق هذا سيتلقاه الله يوم القيامة بما هو أحوج ما يكون إليه يومئذٍ، ألا وهو العفو عن الخطايا وغفران الذنوب !!